العولمة وهوية بنية الصورة الذهنية للفضاءات الحضرية

ا.د.حيدر عبدالرزاق كمونة
جامعة بغداد

د.عامر شاكر خضير
جامعة بغداد

المستخلص:

يناقش هذا البحث موضوع الهوية في البيئة العمرانية اذ يحاول الاجابة على عدد من الأسئلة التي تدخل مع مفهوم الهوية. أول هذه الأسئلة :ما هي الهوية ؟ هل يمكن وضع تعريف أو إطار نظري للهوية ؟ وماذا عن الهوية الفردية والجمعية والثقافية والاثنية والسياسية والإقليمية ؟ هل هناك تعريف للهوية في البيئة العمرانية على نحو خاص ؟ وإذا كان هناك تعريف للهوية ماذا عن الحركية الاجتماعية المسؤولة عن التغيير الاجتماعي ؟ كيف نستطيع رؤية الهوية من خلال هذه الحركية؟ هل يمكننا أن نفترض إن الهوية في البيئة العمرانية ذات بنية متغيرة أم إنها ذات شكل متغير مع وجود بنية أكثر ثباتاً ؟هل نستطيع تحديد المسار الزمكاني (spatio-temporal path) لتغير شكل الهوية العمرانية وبنيتها في البيئة الحضرية ؟

المشكلة البحثية:-

المشكلة العامة:- تغير ادراك المتلقي لهوية البنية الحضرية في المدينة العربية بسبب تغير المفاهيم الفكرية والثقافية المتمثلة بالعولمة.

المشكلة الخاصة:- تأثر البيئة العمرانية بتغير التعامل مع المفاهيم الاجتماعية والنفسية للخصوصية والمتأثر بالمتغيرات الثقافية.

المشكلة البحثية:- عدم وضوح مدى وكيفية تأثير تغير ادراك المتلقي لمشهد المدينة.

أهداف البحث:-

الهدف العام: معرفة كيفية تأثير العولمة في تغير الادراك للبيئة المادية للمدينة.

الاهداف الخاصة:

1- معرفة حدود التأثير المتبادل بين تغير البنية الفكرية من جهة والبنية الادراكية لمشهد المدينة من جهة أخرى من خلال التاثيرات الفكرية للعولمة.

2- تقصي مدى تغير ادراك المتلقي للمشهد الحضري.

3- محاولة إظهار تاثيرات العولمة على وضوحية البنية الحضرية للمدينة العربية من خلال التوجية الفضائي في الشوارع التجارية.

فرضية البحث

كان للعولمة بمختلف مستوياتها ومسمياتها اثر في حدوث تغيرات كبيرة في البنية الحضرية والمعمارية للمدينة العربية وبالتالي على ادراك المتلقي لمشهد مدينته.

1-العولمة لغة واصطلاحاً

إن العولمة على ما سبق مشتق من العالم، أي: صرنا عالميين، ومعنى العالمية: أن تتحد كل شعوب العالم في جميع أمورها على نحو واحد وهيئة واحدة في الجملة، فيكونوا كبيت واحد، وأسرة واحدة، فلا يكون هناك شعب فقير وشعب غني، ولا شعب أُمي وشعب مثقّف، ولا شعب تختلف اقتصادياته أو سياسياته أو ثقافياته أو اجتماعياته أو سائر شؤونه . كشؤون التربية والسلوك وما أشبه ذلك . عن شعب آخر، أي: كما كان عليه الحال قبل الآلة الحديثة، حيث الأسفار البعيدة، والاتصالات المنقطعة أو شبه المنقطعة، وإنما يكون الانتماء للعالم كلّه كالانتماء إلى دولة واحدة كلها،فإن البلاد وإن كانت مختلفة ولم يتصل بعضها ببعض، لكنّ الفكر يكون واحداً، والاتصال موجوداً، ويبقى الاختلاف قليلا وبشكل جزئي في بعض النقاط وفي المناطق الصغيرة من أطراف العالم.

1-1 مجالات العولمة :

للعولمة مجالات متعددة، اقتصادية وسياسية وثقافية وإعلامية وغيرها **فالاقتصادية:** تظهر في عمق الاعتماد المتبادل بين الدول والاقتصاديات القومية وفي وحدة الأسواق المالية وفي عمق المبادلات التجارية في إطار لا حماية فيه ولا رقابة وأبرز شئ في ذلك إنشاء منظمة التجارة الدولية وهنا تثار مشكلة " أزمة الدولة القومية " ودور الدولة في العولمة الاقتصادية.

السياسية تتجلى في سقوط الشمولية والسلطة والنزوع إلى الديمقراطية والتعددية السياسية.

والعولمة الثقافية تكمن في أن الثقافة العالمية هيمنة على الهوية والخصوصية الثقافية.

والعولمة الإعلامية تدور حول البث التلفزيوني من خلال الأقمار الصناعية وحول شبكة الانترنت التي تربط البشر في كل أنحاء المعمورة.

وسيتم التركيز في الفقرات القادمة على جانبين مهمين يراها البحث مؤثرة وتدخل في سياق الدراسة وهي العولمة الثقافية و العولمة الاجتماعية.

1-2العولمة الثقافية:

أن مجال الثقافة أحد مظاهر العولمة وجوانبها، وهي ما أطلق عليه البعض بنظام السيطرة الاجتماعية في سوق المجتمعات.

ويتفق عدد من الباحثين على أن الثقافة من اخطر الأوجه الحضارية المتأثرة بظاهرة العولمة، ولم ينحصر الأمر في الاقتصادات المعولمة بل طالت وبسرعة شديدة ونسبية عالية هذه العولمة ثقافات الشعوب وقيمها وعاداتها وتقاليدها[1].

و تعد هذه أكثر صعوبة وتعقيداً، ذلك أن الثقافة محصلة التفاعل بين ثلاث علاقات مع الله (العقيدة والذات) ومع الآخر(المجتمع والطبقية) ومع الذات (الرغبات والغرائز والحاجات).

1 ((www.aksjhiuqwed.com))

ولتحديد معنى واضح لعولمة الثقافة نعرج أولاً على تعريف الثقافة، فالثقافة هي" نموذج كلي لسلوك الإنسان ونتاجاته المتجسدة في الكلمات والأفعال وما تصنعه يداه، وتعتمد على قدرة الإنسان على التعليم ونقل المعرفة للأجيال التالية"[1].

ويراها د. محمد عابد الجابري*" ذلك المركب المتجانس الذكريات والتطورات والقيم والرموز والتعبيرات والإبداعات والتطلعات التي تحفظ لجماعة بشرية تشكل أمة أو ما في معناها، بهويتها الحضارية، في إطار ما تعرفه من تطورات بفعل حركيتها الداخلية وقابليتها للتواصل والأخذ والعطاء".

و من اهم أهداف عولمة الثقافة والتي يمكن تلخيصها فيما يلي :-

1-خدمة السيادة المركزية، والمهنية العالمية، وتوطيد معاني العولمة الاقتصادية والسياسية، ونقل الحضارة العالمية إلى الشعوب الدنيا.

2-توحيد الثقافة العالمية، وصهرها في ثقافة واحدة، وإلغاء التعددية الثقافية و التنوع الثقافي.

3-التاثيرعلىالخصوصية الفردية و الهوية الذاتية، ولذلك نرى أن مؤيدي العولمة لا يعترفون بالهوية الشخصية سواء هوية الفرد الواحد أو المجتمع الواحد أو الدولة الواحدة.

4-التاثير على كل الثوابت الدينية والفكرية والأخلاقية للوصول إلى بناء إنسان يذوب في بحر المادية.

وقد طرح الدكتور الجابري أطروحات عدة في جانب العولمة الثقافية، منها فيما يختص ببيان مدى الأثر من جراء عملية الصراع الثقافي العالمي الآتي[2]:

1 ((www.asedkw.com))

* ((باحث و مفكر مغربي مهتم بالشؤون الثقافية القومية ولديه موقع على الانترنيت ينشر فيه ابحاثه و افكاره الفلسفية ((www.alabbed.com

2 ((www.alabbed.com))

1-الهوية الثقافة ومستويات ثلاثة: فردية وجمهورية ووطنية قومية والعلاقة بين المستويات تتحدد أساسا بنوع الآخر الذي تواجهه. فالفرد داخل الجماعة الواحدة، الجماعات داخل الأمة والأمة إزاء الأمم فهناك ثلاثة مستويات ثقافية: فردية،وجمعية، ووطنية.

2-لا تكتمل الهوية الثقافية إلا إذا كانت مرجعيتها مجموع الوطن والأمة والدولة، الوطن بوصفه الأرض والأموات أو الجغرافيا والتاريخ وقد أصبحا كياناً روحياً واحداً يعمر قلب كل مواطن : الجغرافيا وقد أصبحت معطى تاريخياً والتاريخ وقد صار موقعاً جغرافياً والأمة بوصفها النسب الروحي الذي تنسجه الثقافة المشتركة وقوامها ذاكرة تاريخية وطموحات تعبر عنها الإرادة الجمعية التي يصنعها حب الوطن، والدولة بوصفها التجسيد القانوني لوحدة الوطن والأمة، إذن فكل مساس بالوطن أو الأمة أو الدولة هو مساس بالهوية الثقافية والعكس صحيح.

3-ليست العولمة مجرد آلية من آليات التطور الرأسمالية بل هي أيضا وبالدرجة الأولى إيديولوجيا تعكس إرادة التوجهات الجديدة للدول المنضوية تحت لواءها.

4-العولمة شئ والعالمية شئ آخر، العالمية تفتّح على العالم والثقافات الأخرى واحتفاظ بالخلاف الايديولوجي، أما العولمة فهي الحد من تاثير للآخر وإحلال للاختراق الثقافي محل الصراع الايديولوجي.

5-فإن الصراع الايديولوجي صراع تأويل الحاضر وتفسير الماضي والتشريع للمستقبل، أما الاختراق الثقافي فيستهدف الأداة التي يتم بها التأويل إذ يستهدف العقل والنفس ووسيلتهما في التعامل مع العالم ((الإدراك)).

2-فلسفة التغير عند الانسان

2-1الجانب السلوكي

تنشأ استمرارية الإنسان (تطور الإنسان) ضمن محيطه حسب Cassirer عن وجود حالة تفاعل وشد بين قوى التثبيت Stabilization، وقوى التغير Change، أي بين

النزوع الذي يقود لأشكال ونظم ثابتة ونزوع آخر لكسر هذا الثبات. فينشأ نتيجة لذلك الصراع[1]، والإنسان عادة يكون مشدود بقوى هذين الاتجاهين، فأحدهما يسعى للحفاظ على الصيغ القديمة للمحيط، والآخر يعمل على إبتكار صيغ جديدة مبتكرة لتغييره، هذه الثنائية موجودة في كل مجالات الحضارة الإنسانية، وما يختلف في المجالات المتخصصة هي " نسب التأثير والتأثر " عوامل التغير والثبات فقط.

إن الطبيعة الفردية للإنسان ذات أهداف ومقاصد محددة عند تعاملها مع الأشياء والظواهر – بضمنها العمارة – من خلال فعل التغيير، الذي يوصف بكونه صيغة قصدية Intentional تمكن الإنسان من تحقيق مبتغاه، إلا أن فعل التغيير الذي يريده الإنسان لا يستطيع الفصل بين القديم والجديد، فما يبدو كحقائق Truths في نسق معين من التفكير والإدراك (المعرفي) إنما ينشأ من كون الأشياء ترسم بطريقة اصطلاحية عُرفية Conventional على وفق مبادئ رئيسة يتبلور حولها النسق الثقافي المعرفي. وهذا ما يعنيه نيتشه Nietzsche عندما يقول: " أن كل شيء زائف Every Thing is False "، وهو يقصد إن التطابق بين الجمل التي تصف الواقع بالصحيح True، والواقع Reality نفسه غير موجود، وبهذا المعنى لا يوجد شيء صحيح، وان ما يبدو صحيحا يتبع نظام الأعراف والقواعد العامة وخصوصا فيما يتعلق بالمعرفة البشرية Human Knowledge، وهكذا هاجم (نيتشه) النظريات الفلسفية التي تتمسك بوجود نسق Order ثابت في العالم[2].

ويرى البحث بان الثبات لهذه الأعراف والقواعد والمعارف في عالمنا نسبية اصطناعية غير ثابتة، تنكسر أو تتطور بعد فترات من الزمن بسبب تغير في الإدراك، أو تغير في

1 ((الصراع: يعرف بمعناه العام بأنه تعارض بين قوتين إحداهما دافعة وأخرى مانعة، أي وجود دافعين لا يمكن إشباعهما في وقت واحد. ويحصل الصراع على اشده حين يتنافس نوعان من أنواع العمل ولهما نفس قوة التأثير على الفرد تقريبا، وهذا يعني أن الفرد ينجذب من خلال هذه العملية نحو مهمتين مختلفتين في آن واحد.))

2 ((رزوقي، غادة موسى؛ فكر الإبداع في العمارة، رسالة دكتوراه فلسفة مقدمة إلى قسم الهندسة المعمارية، جامعة بغداد، العراق، 1996، ص60))

الأدوار كما يرى نيتشه، فهو يصف الحياة وما يتصوره غيره من حقائق على أنها مسرحية نتبادل نحن بنو الإنسان الأدوار فيها من خلال أقنعة نرتديها بحسب أدوار ظرفية وتبعا للزمان والمكان، ثم ترفع هذه الأقنعة عند تغير أو انتهاء الأدوار، لتبدأ أدوار جديدة.

2-2 الجانب الاجتماعي (المتعلق بعلم الاجتماع):

يعد موضوع التغير من الموضوعات الرئيسه في علم الاجتماع مما جعله ينال من اهتمام المفكرين وعلماء الاجتماع ما لم ينله أي موضوع من موضوعات علم الاجتماع الأخرى. ظهر موضوع التغير بوضوح منذ النشأة المبكرة لعلم الاجتماع على يد عالم الاجتماع الفرنسي (أوجست كونت)، ومن واصلوا من بعده مسيرة التفكير السسيولوجي من رواد علم الاجتماع، إذ وصل الاهتمام بقضية التغير في علم الاجتماع إلى الحد الذي جعل بعض علماء الاجتماع يفردون مؤلفات بكاملها لمعالجته وتحديد اتجاهاته، وصياغة النظريات حوله من جوانب متعددة، إذ يعد كتاب (التغير الاجتماعي) لـ وليم اوجبرن Ogburn عام[1]، والذي أعطى فيه أهمية كبرى للاختراعات في عملية إحداث التغير الاجتماعي. أما جون لويس جيلين J.Gillin وجون فيليب جيلين فيذهبان إلى إن التغير الاجتماعي يعني التحول من أنماط الحياة المقبولة سواء كان هذا التحول راجعاً للتبدل في الظروف الجغرافية أو الأجهزة الثقافية أو الأيديولوجيات. أو إن هذا التحول قد جاءت به أفكار الابتكاريين. ولم ينته الأمر عند مجرد معالجة التغير في حد ذاته، بل تعدى ذلك عندما اتخذ (روبرت نزبت) من التغير الاجتماعي منظوره لاعادة تحليل النظرية السيسولوجية في الكشف عن معالم تطويرها من خلال المعالجات التي استهدفت تحليل التغير الاجتماعي وتقديم التفسيرات النظرية له.

1 ((1922 الجولاني، 1993، ص))

3-تأثيرات العولمة على البيئة الحضرية:

بعد التطرق للاراء و الاتجاهات التي تفسر العولمه ومهما يكن من أمر هذه المحاولات، فلا يبدو للباحث هنا أنها توضح المفهوم توضيحا يُقبل على وفق منطق العلم المنهجي؛ فالمفاهيم العلمية Concepts Scientism أدوات ذات أهمية علمية كبيرة في تواصل جمهور العلماء وتفاهمهم والتعبير عن طروحاتهم، فهي تستخدم للتعبير عن مكنون الأفكار وشرح النظريات العلمية المفسرة للظواهر محل اهتمام الفرع العلمي الذي ينتمي إليه هذا أو ذاك العالم[1]. ومن هنا فإن تعريف المفاهيم أمر غاية في الأهمية في أي مجال علمي. والحقيقة أن أغلب مفاهيم العلوم السلوكية وبخاصة الاجتماعية تتداخل في معناها وتحتاج جهدا ذهنيا كبيرا للفصل بينها من حيث ما تشير إليه، ومن بين الأساليب الناجعة لهذا الغرض هو مقارنة هذه المفاهيم ببعض لوضع الفواصل بين ما تشير إليه، وأني أعتقد أن هذا الأسلوب سيساعد كثير في توضيح فهم مدلول كل مفهوم بما في ذلك المفاهيم حديثة الاستخدام كمفهوم العولمة .

مفهوم العولمة وعلاقته بالمفاهيم الاجتماعية الأخرى قبل اتباع هذه الآلية في تعريف وتحديد ماهية مفهوم العولمة لابد من الوضع في الاعتبار بعض النقاط الآتية :

1- أن العولمة ظاهرة عالمية نشأت إثر تراكم عوامل عدة منها الاقتصادي ومنها الاجتماعي الثقافي ومنها السياسي ومنها العلمي التقني فهي ليست محض صدفة .

2- أن العولمة تشير إلى مرحلة من مراحل التطور التاريخي للمجتمعات الإنسانية وكانت بدايتها الأولى مع دخول العالم عصر حرب النجوم وسباق التسلح.

3- أنه ليس ثمة دولة بعينها مسؤولة عن تطور هذه الظاهرة العالمية التي تمثل مرحلة تطور زادت معها درجة تعقيد الحياة الاجتماعية.

4- أن للعولمة أثارها الإيجابية وكذلك لها مضعفات سلبية لم تنجو منها حتى تلك الدول التي تدعي أنها المسؤولة عن نشؤ ظاهرة العولمة في العالم.

---

1 ((د. عبدالله عامر الهمالي، أسلوب البحث الاجتماعي وتقنياته، ط1، منشورات جامعة قاريونس، 1988،ص ص 26-28.))

5- أن الشركات المتعددة الجنسيات والمتعدية الحدود، والثورة المعلوماتية، والتطورات الهائلة في مجالات عدة من أهمها الفلك والطب والكمبيوتر ليست إلا نتاج تراكم المعرفة العلمية ولم تكن في منشأها نتاج صدفة، وهي من أبرز مؤشرات العولمة.

على هذا النحو تكون العولمة عبارة عن مرحلة من مراحل التطور التاريخي للمجتمعات الإنسانية أسهمت في إحداثها مجموعة من العوامل وبرزت لها العديد من المؤشرات الكيفية والكمية وهي تمثل ظواهر برزت بشكل أوضح بعد دخول العالم مرحلة التصنيع المتقدم .

وفق هذا التصور تكون العولمة ضرب من التغير الاجتماعي Social Change الحادث على المجتمعات الإنسانية، فالعولمة لا تعدو أن تكون نقلة من النقلات التي تخطوها المجتمعات الإنسانية نحو مزيد من التعقيد الاجتماعي المادي، والاعتماد على التقانة المعقدة، وإن الفارق الجوهري ما بين التغير الاجتماعي والعولمة يكمن باعتقادينا في أن التغير يشير إلى أي نوع من أنواع التبدل أو التحول الحادث على تركيبة المجتمع سواء كان هذا التغير إيجابيا أو سلبيا تقدميا أو انتكاسيا سريعا أو بطئا عميقا أو سطحيا ..الخ، أما العولمة فهي حالة من التغير تشير إلى تحول المجتمعات الإنسانية نحو مزيد من التعقيد الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والتقاني. بمفهوم أيسر، التغير هو مفهوم أشمل من العولمة إذ ان الأخير يستظل بمظلة الأول أو يدخل تحت صنوفه. لاحظ هنا أن الفارق ما بين مفهومي العولمة والتغير مثله مثل الفارق بين مفهومي التحديث الاجتماعي والتغير الاجتماعي، فهما من الفئة نفسها ولكن لا يشيران إلى الشيء نفسه ، فالتحديث هو عبارة عن تغير، ولكنه تغير إيجابي عادة ما يكون مقصودا من قبل الجهات المسؤولة عن التخطيط الاقتصادي والاجتماعي في المجتمع[1]. كذا مفهوم العولمة فهو يشير أيضا إلى ضرب من التغير الاجتماعي العام والذي ينم عن ازدياد درجة التعقيد الاجتماعي والاقتصادي في المجتمع، غير أنه لم يكن مقصودا بالدرجة التي قُصد بها إحداث التحديث الاجتماعي بالمجتمع. هذا ناهيك عن أن العولمة تشير إلى التغير

1 ((عبدالله عامر الهمالي، التحديث الاجتماعي: معالمه ونماذج من تطبيقاته، الدار الجماهيرية للنشر، 1986، ص 16 .))

على مستوى العالم الإنساني، أما التحديث فهو يشير إلى التغير على مستوى المجتمع الواحد، وللدلالة على هذه التفرقة ما بين مفهومي التحديث والعولمة (وهى فروق كمية أكثر من كونها فروق نوعية) نجد بعض المنتمين إلى علم الاجتماع بالدرجة الأولى يشيرون إلى عصر العولمة بأنه "عصر ما بعد التحديث الاجتماعي" أو "مرحلة ما بعد التصنيع"[2]، وهذا ما يشير بوضوح إلى أن هذه المرحلة الجديدة ما هي إلا امتداد للمرحلة القديمة والتي تمثل التحديث الاجتماعي.

4- الهوية العمرانية

قبل الدخول في موضوع الهوية في البيئة العمرانية لابد لنا من مناقشة عدد من الأسئلة التي تدخل مع مفهوم الهوية. أول هذه الأسئلة هو ما هي الهوية ؟ هل يمكن وضع تعريف أو إطار نظري للهوية ؟ وماذا عن الهوية الفردية والجماعية والثقافية والاثنية والسياسية والإقليمية ؟ هل هناك تعريف للهوية في البيئة العمرانية على نحو خاص ؟ وإذا كان هناك تعريف للهوية ماذا عن الديناميكية الاجتماعية المسؤولة عن التغيير الاجتماعي ؟ كيف نستطيع رؤية الهوية من خلال هذه الديناميكية؟ هل يمكننا أن نفترض إن الهوية في البيئة العمرانية ذات بنية متغيرة أم إنها ذات شكل متغير مع وجود بنيـة أكثر ثباتاً؟، هل نستطيع تحديد المسار الزمكاني (Spatio-Temporal Path) لتغير شكل الهوية العمرانية وبنيتها في البيئة الحضرية ؟

4-1 ما هي الهوية:

إن فهمنا للهوية ينبني على تراثِنا الحضاري، فالهوية في ثقافتنا العربية الإسلامية هي الإمتيازُ عن الأغيارِ من النواحي كافة. ولفظ الهوية يُطلق على معان ثلاثة: التَّشخص.. والشخص نفسه.. والوجود الخارجي، وجاء في كتاب [الكليات] لأبي البقاء الكَفَوي، أن ما به

2 ((شعبان الطاهر الاسود، الثقافة والمجتمع والتغير الاجتماعي، مجلة دراسات، السنة الأولى، العدد الرابع، 1999، ص ص 13-14 .))

الشيئُ هو باعتبار تحقُّقِهِ يُسمى حقيقةً وذاتاً. وباعتبار تشَخُّصهِ يسمى هويةً. وإذا أخذَ أعمَّ من هذا الإعتبارِ يسمى ماهيةً.. وجاء في هذا الكتاب أيضا..أن الأمرَ المتعقل من حيث إنهُ مقول في جواب (ماهو) يسمى ماهية. ومن حيث ثبوته في الخارج يسمى حقيقة. ومن حيث إمتيازِهِ عن الأغيارِ يسمى هُويةً. والهوية عند "الجرجاني" في [التعريفات] :" الحقيقةُ المطلقةُ، المشتملةُ على الحقائق إشتمالَ النواة على الشجرة في الغيب المطلق.

وتستعمل كلمة "هوية "في الأدبيات المعاصرة لأداء معنى كلمة Identity التي تُعبِّر عن خاصية المطابقة:مطابقة الشيء لنفسه ،أو مطابقته لمثيله. وفي المعاجم الحديثة فإنها لا تخرج عن هذا المضمون، فالهوية هي:"حقيقة الشيء ،أو الشُّخُصِ المطلقة المشتملة على صفاته الجوهرية،والتي تُميزه عن غيره، وتسمى أيضا وحدة الذات .ولذلك فإذا إعتمدنا المفهومَ اللغوي لكلمة " الهوية "، أو إستندنا إلى المفهوم الفلسفي الحديث، فإن المعنى العام للكلمة لا يتغي، وهو يشمل الإمتيازَ عن الغير، والمطابقةَ للنفس. أي خصوصية الذات، وما يتميز به الفرد أو المجتمع عن الأغيار من خصائص ومميزات، ومن قيم ومن مقومات. وخلاصةُ القولِ، أنَّ الهويةَ الثقافيةَ والحضاريةَ لأمةٍ من الأممِ، هي القدرُ الثابتُ والجوهريُّ والمشتركُ من السِّماتِ والقَسماتِ العامةِ، التي تُميز حضارةَ هذه الأمةِ عن غيرها من الحضاراتِ، والتي تجعلُ للشخصيةِ الوطنيةِ والقوميةِ الأخرى.

وهناك خلط والتباس فكريين منتشرين من جراء استعمال لفظ الهوية في الوقت الحاضر ،والذي يمكن شملة بالمسألتين الاتيتين:

المسألة الاولى: غالبا ما تفهم الهوية فهما مطلقا معزولا عن كل الظروف أو الشروط القائمة وكأن الهوية ان تكون المدينة العربية المعاصرة تضاهي ان لم نقل نسخة عن المدينة العربية التقليدية التي ظهرت في الحقبة الاولى من نشأت المدينة العربية، ويفترض كل ذلك عدم الاقتباس من ذلك (الغير) حتى الأمور الصالحة والمفيدة وبدعوى أنها معارضة لما يطمح

إليه العرب من تميز ومغايرة، إن لم نقل من تفوق. وكلما قل الاقتباس من الخارج والتفاعل معه، برزت حظوظ المحافظة على التشكيلة الاجتماعية والبنية الحضرية للمدينة [1].

اما المسألة الثانية: فلقد صار من الشائع ربط الهوية بالماضي وبما تم إنجازه فيه، كما أصبح من المألوف ربطها بما هو ثابت لا يقبل التحول ولا يراد له أن يتحول حتى لا تندثر معالم ما يحفظ للأمة استمرارها عبر الزمن، ولا تندرس أصالتها بفعل تحديات إنجازات الحاضر أو المعاصرة. والهوية، بهذا المعنى، تغدو، في نهاية المطاف، مرادفة للجمود على الحال والتقوقع في الماضي والحقيقة. أن الهوية لا ترتبط بالماضي أكثر من ارتباطها بالمستقبل، بطموح الأمة وآمالها في المستقبل.

4-2 الهوية و العولمة:

إن إتجاهات العولمة تسير نحو التأثير على الهوية والسيادة معاً. وأول مايثير الإنتباه عند التأمل في موقف الغرب من هويات الشعوب. هو جمعه بين موقفين متناقضين ،فهو من جهة شديد الإعتزاز بهويته حريص عليها ، وهو من جهة ثانية رافض للإعتراف بالهويات الوطنية لشعوب العالم، لإحساسه بأن العولمة من شأنها أن تؤدي إلى مزيد من الوعي بالخصوصية الثقافية والحضارية. وتلك في نظر الغرب عموماً هي المعضلة الكبرى التي يصطدم بها. ويعبر مفكروه عن هذه الحيرة الفكرية بوضوح وصراحة لامزيد عليهما. ففي أحدث دراسة لصمويل هنتغتون (SAMUEL HUNTINGTON)، يتبين التناقض الذي تقع فيه القوة الجديدة المنفردة بزعامة العالم، وتتضح الحيرة العاصفة التي تسود مجتمع النخبة في الغرب فقد كتب " هنتنغتون "[1] دراسة تحت عنوان مثير للغرابة فعلا: [الغرب: متفرد وليس عالمياً] The West Unique Not Universal: و يفرق فيها بين " التحديث" Modernization وبين "التغريب" Westernization ويقول :"إن شُعوب العالم غير الغربية لايمكن لها أن تدخل في النسيج الحضاري للغرب، حتى وإن استهلكت البضائع

---

1 ((العروي،عبد الله ، "ثقافتنا في ضوء التاريخ"، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، 1988، ص 200))

1 ((مجلة [شؤون خارجية] عدد شهري نوفمبر – ديسمبر 1996))

الغربية، وشاهدت الأفلام الأمريكية، واستمعت إلى الموسيقى الغربية. فروح أي حضارة هي اللُّغة والدين والقيم والعادات والتقاليد. وحضارة الغرب تتميز بكونها وريثة الحضارات اليونانية والرومانية والمسيحية الغربية. والأصول اللاتينية للغات شعوبها، والفصل بين الدين والدولة. وسيادة القانون، والتعددية في ظل المجتمع المدني. والهياكل النيابية، والحرية الفردية. "ويضيف قائلاً:" إن التحديث والنمو الإقتصادي لايمكن أن يحققا الغربة الثقافي في المجتمعات غير الغربية. بل على العكس، يؤديان إلى مزيد من التمسك بالثقافات الأصلية لتلك الشعوب ويؤدي الى النمو و التطور للهياكل العمرانية مستمدة طاقتها من الثابت للهوية العمرانية. ولذلك لابد التفريق هنا بين مفهومين متناقضين هما التغريب(الامركة) والتحديث ومن الواضح ان العولمة بصيغتها الحالية تجمع هذين المفهومين المتناقضين معا لذلك جاءت النداءات التي تطالب الابتعاد عن العولمة لانها ترى جانب التغريب فقط من طرفي المعادلة اما المجموعة الثانية والمطالبة بالاندماج بالعولمة هي ايضا ترى جانب التحديث من العولمة وتهمل الطرف الاخر.

وياتي تأثير العولمة على الهوية للمدينة من خلال اقحام الاشكال و التكوينات المادية الجاهزة في النسيج الحضري للمدينة بغض النظر عن درجة ملاءمتها من الناحية الثقافية او البيئية، وهذا ما نجدة في ماليزيا مثلا حيث ان التكوينات العمرانية التي برزت فيها خلال العقد الاخير من القرن العشرين لا يمت بصلة بتاريخ العمارة والعمران في ماليزيا كذلك هو الحال في دولة الامارات العربية التي استوردت هذه الاشكال بحيث صعب التميز بين ماليزيا والامارات العربية من خلال مشهدهما الحضري او بينهما وبين منهاتن الامريكية[1].

1 ((الصور مأخوذ من موقع على الانترنيت (http://www.alltheweb.com))

انتقال المشهد الحضري لدولة الامارات العربية من المحلية في التعامل مع المواد والتكوينات الحضرية الى النمط المعولم الذي لا ينسجم مع كل المعطيات التخطيطية و التصميمية

ماليزيا ، نلاحظ ان طريقة التعامل مع المشهد الحضري يشابهه حالة الامارات العربية مع الفارق المعروف من حيث العادات و التقاليد والموروث المعماري، وهذا ما يعرف بالنمط المعولم للمشهد الحضري او المدينة المعولمة

منهاتن الامريكية، التي شهدت مولد العولمة وتصديرها لبقية العالم ،نلاحظ ثبات المشهد الحضري من الشرق الى الغرب من ماليزيا و الامارات العربية الى منهاتن بحيث تنفقد الخصوصية و الهوية المحلية المستندة للموروث الحضاري للمدينة

4-3 آلية تاثير العولمة على الهوية العمرانية:

مادام هناك قوتين مهما كان مقدارهما فهناك تفاعل وتجاذب وتنافر بينهما وعلى اساس هذه الحقيقة الفيزيائية فان العولمة والهوية قوتين تحاول كل منهما ان تهيمن على الاخر فالعولمة القادمة من الخارج تحاول فرض شروطها والهوية المحلية لها متطلباتها التي قد تتعارض مع شروط العولمة، والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو بما ان التأثر المتبادل موجود، فما هي طبيعة هذا التأثير والكيفية التي يعمل بها؟ وخصوصا في حالة المدن العربية التي تحمل ارثا حضاريا موغل في القدم و العمق الفكري والذي يرجع الى فجر الحضارات الاولى؟.

ومن هذا نجد انه هناك اربعة انواع من التفاعل بين الهوية والعولمة يعتمد على البعد الثقافي و الاقتصادي للمدينة ويكون بالشكل الآتي[1]:

1 ((http://www.alrashad.org/%5Cissues%5C09%5C09-06-js.htm موقع على الانترنيت اخذ منه بتصرف))

	البعد الثقافي	البعد الاقتصادي	التفاعل بين الهوية والعولمة
1	قوي	قوي	تأثير ثقافي اقتصادي
2	قوي	ضعيف	ذوبان اقتصادي
3	ضعيف	قوي	ذوبان ثقافي
4	ضعيف	ضعيف	ذوبان ثقافي و اقتصادي

وبالتالي فان البلدان التي لها اقتصاد قوي و ثقافة ذات تأثير قوي[1] فانها تفرض نمطها في البيئة الحضرية وهذا ما حصل في حالة امريكا و الدول الاوربية التي تحاول فرض انماطها التخطيطية على بقية بلدان العالم.

اما البلدان العربية التي تمتلك بعداً ثقافي موغل في القدم والاصالة الا ان الجانب الاقتصادي فيها غير متكامل ولا يستطيع التنافس مع التكتلات الاقتصادية العالمية مثل المجموعة الاوربية مثلا او المجموعة الاسيوية (النمور السبعة)، نجدها تتساق مع القوى الاقتصادية الكبرى والتي تؤثر على مدنها الذي يحتم عليها استعمالات ارض محددة تتماشى مع المتطلبات الاقتصادية العالمية (الاقتصاد المعولم).

اما الدول التي تمتلك قوة اقتصادية ولكنها لا تمتلك بعداً ثقافية فانها تحاول استيراد (شراء) ثقافة العولمة التي هي بطبيعة الحال لا تتعارض مع ما موجود من ثقافة محلية لعدم عمق هذه الثقافة وهشاشتها.

اما الدول التي لا تمتلك البعدين (الاقتصادي و الثقافي) فهي في الغالب مجتمعات بدائية تعيش في عصر اخر غير عصر العولمة فهي بعيدة عن هذه المشكلة.

---

1 ((نقصد هنا بالتأثير القوي ليس بالضرورة العمق التاريخي للثقافة اذ ان الثقافة الامريكية لا تملك البعد التاريخي الذي تمتلكها الثقافة العربية الا ان الوسائل والتقنيات الاعلامية التي يمتلكها الغرب من التأثير بحيث تستطيع تسويق ثقافتها الى بقية بلدان العالم، ففي اخر احصائيات بلغت الوكالات الاخبارية و الاعلامية الامريكية اكثر من 80% من مجموع الوكالات العالمية الكبيرة، ومن هذا نجد كثافة التأثير للثقافة الامريكية.))

اما اشكال التغيير الذي يمكن ان تطرأ على المشهد الحضري فهي:

1-استحداث فضاءات حضرية جديدة والغاء بعض الفعاليات، نتيجة التغير بنمط الاستعمال في المدينة بسبب التقنيات الحديثة.

2-استخدام مواد بناء جديدة قد لا تتلاءم مع البيئة المحلية.

3-الاتجاة الى استغلال الارض الى ابعد الحدود بالارتفاع في البناء بما ينتج عنه كثافة بنائية عالية و خط سماء جديد يهيمن على الدلالات المحلية الموجودة في المدينة.

4-التقدم التقني المذهل اعطى امكانية التحكم الكبير بالبيئة والتقليل من تأثيرها الى حد التهميش ،لذلك اصبحت العمارة والمدينة غريبة عن بيئتها الطبيعية، كما هو الحال في مدن الخليج.

صور لمدينتي دبي و ابو ظبي في دولة الامارات العربية

5- التغير والتفاعل الثقافي في البيئة العمرانية

لقد تناول كلاب Klapp ظاهرة البحث الجمعي عن الهوية مؤكداً أن النظم الاجتماعية الحديثة مشوهة ودون معنى. لذلك فأنه عندما يكون هاجس الحركات الجماهيرية منصب نحو الهوية فأنهم سيطورون خصائص محددة تعبر عن(الإعلام الذاتي) الذي يعتني باللبس والزخرفة الشخصية كما يعتني بثورة الأنماط أي يهتم بالجوانب العاطفية أكثر من التأثيرات

العملية[1]. وهناك من يميز بين "الهوية المقدسة" وهي هوية خيالية غير موجودة إلا في أذهان المثقفين والمطالبة بتحقيق هذه الهوية لا يتعدى الترف الفكري الذي لا طائل منه ومع ذلك تظل "الهوية المقدسة" هدف ثقافي هام يجب السعي له لأنه يشكل نوع من المرجعية الثقافية والتاريخية التي توحد بين الجماعة الكبيرة التي تحتوي في داخلها جماعات أخري أصغر منها. كما أن هناك "الهوية العملية" وهي هوية واقعية موجودة في كل حين. فالهوية العملية هي هوية لاشعورية يعيشها الإنسان ويعبر عنها في كل وقت[2].

أن الوظيفة التلقائية للهوية كما يراها علم الاجتماع هي "حماية الذات الجمعية من عوامل الذوبان أو التعرية" هذا التصور الوظيفي لمفهوم الهوية يجعلنا نميز بين تأويلين لمعني الهوية، الأول هو التأويل "الماهوى" الذي يرى أن الهوية "شيء اكتمل وانتهى وتحقق في الماضي في فترة معينة أو نموذج اجتماعي معين وأن الحاضر هو محاولة إدراك هذا المثال وتحقيقه". أما التصور التاريخي والحركية فهو يري أن الهوية "شيء يتم اكتسابه وتعديله باستمرار، وليس أبداً ما هية ثابتة. فبما أن تاريخ أي شعب هو تاريخ متجدد وملئ بالأحداث والتجارب فأن الهوية الأصلية تعتني باستمرار، وتكتسب سماته وتلفظ أخري، أن إحداثا وقيماً وسمات جديدة تغمرها باستمرار"[3].

6-التفاعل الثقافي كإطار لفهم الهوية في البيئة العمرانية

في سعينا لفهم آلية تشكل الهوية في البيئة العمرانية حاولنا تبين العوامل التي تؤدي بالأفراد والجماعات لمجتمع ما للمحافظة على سمة موحدة تجمعهم. ولأن هذه العوامل غالباً داخلية وباطنة أكثر من كونها عوامل خارجية وظاهرة، لذلك فأن مجموع هذه العوامل هي ما اطلق عليها البحث "آلية التفاعل الثقافي". أن استخدامنا لمصطلح "التفاعل الثقافية" يقابل نظرية

1((Klapp, O. "Collective Search for Identity", New york, Rinehart and Winston, Inc., 1969.))

2 ((الحمد، تركي "هوية بلا هوية: نحن والعولمة"، قدمت لمؤتمر العولمة، القاهرة، أبريل 1998 (نشرت في جريدة اليوم على أربع حلقات في الأعداد 90860، 90993، 9100، 9107)))

3 ((سبيل، محمد "الهوية"، جريدة الرياض عدد 11049 (4-6-1419)))

التحدي والاستجابة التي أطلقها المفكر تونبي لدراسة عوامل المقاومة الثقافية في الحضارة الإسلامية. لذلك فالبحث يرى أن كلمة "تفاعل" ممكن ان تعطي معنى الرفض او القبول و"الاستيعاب" بعد التفكيك والتركيب. إذاً فمفهوم "التفاعل الثقافي" هنا يعني بالدرجة الأولى ردة الفعل اللاشعورية التي مارسها الإنسان عند تعامله مع المستجدات التي طرأت على البيئة العمرانية التي هو فيها.

إن استمرارية القيم التقليدية لا يعارض أبداً مصطلح "المجتمع الحديث"، فنحن مثلاً لا نتفق مع القول الذي يري فيه أن المجتمع لا يمكن أن يكون حديث وتقليدي في نفس الوقت ولكننا في نفس الوقت نؤيد أن بعض القيم التقليدية القوية أو "خيوط التقاليد" (Strands of Traditions)يمكن أن تستمر في المجتمعات الحديثة حتى لو أن المجتمعات التي تطورت فيها تلك القيم قد تلاشت كلياً. هذا يجعلنا نطرح مفهوم "نواه القيم" التي أطلقها ربابورت Rapoport في كثير من دراساته عن البيئة المبنية، اذ قال :

"بما أن الثقافة تتغير إذاً فالسؤال هنا هو إلي أي مدى يمكن لجماعة ما أن تحافظ على هويتها، أي أنها تبقى معروفه لنفسها وللآخرين ... لذلك فالتفريق بين نواه الثقافة (التي تتغير قليلاً وبشكل بطيء) والثقافة الثانوية (التي تتغير بسرعة) مهم ومفيد لتحليل تصاميم الأشكال المبنية خصوصاً في حالة التغير الثقافي المطرد"[1]. وهو هنا يؤكد أن نواه القيم هي المسئولة عن المحافظة على هوية الجماعة وتماسكها عبر الزمن.

يبقى السؤال المهم وهو إلي أي مدى تأثرت نواهً القيم للمجتمع (المعولم) بالتغيرات التي حدث للبيئة العمرانية وبالتالي على ادراك الافراد والمجتمع للهوية والصورة الذهنية لمدينتهم؟. وهذا السؤال ما يحاول البحث الاجابة عنه.

7-هوية البيئة الحضرية والاحساس بالمكان

1((Rapoport, A. "Culture and Built Form – A Reconsideration", In D. G. Saile (Ed) " architecture in Cultural Change", Essays in Build Form and Culture, Lawrence, University of Kansas, 1986))

قسم Lynch المكونات الاساس للاحساس بالمكان الى:

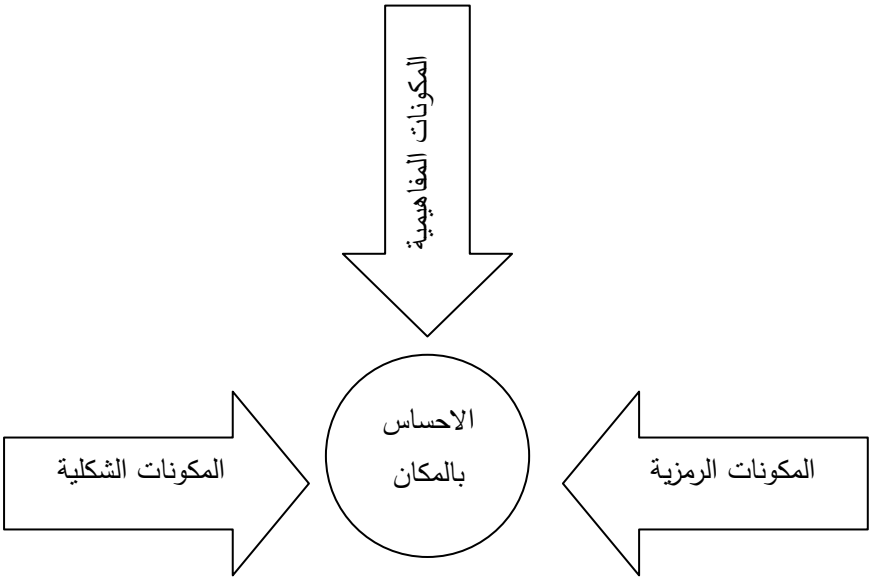

7-1 المكونات الشكلية:

وهي الخصائص الشكلية التي تتيح للمتلقي التعرف على المكان والزمان بحد ذاتهما وتنميطهما فكريا وتشمل:

7-1-1 الهوية

تمثل الهوية المدى الذي يمكن به تشخيص المكان او التعرف علية او تذكره،لكونه مميزا عن غيره من الاماكن،والشعور بالهوية يمثل ابسط اشكال الاحساس بالمكان،وقد ياتي الاحساس بالمكان من تالف الحميم بين الفرد والمكان،كما قد يكون نتيجة للتاثير القوي للاشكال الخاصة والمميزة،وعندما يعمل الشكل والتالف معا فان النتيجة العاطفية ستكون قوية التاثير الى حد كبير[1].

1 ((Lynch, K., ''A Theory of Good City Form ", Cambridge, MA : MIT Press,1981,p.132-133))

ان للهوية وظيفة منفعية واضحة تماما حيث ان قدرة الانسان على التعرف على الاشياء والاماكن هي اساس الحركة الكفؤة وايجاد الطريق في البيئات الحضرية.

وتتميز معظم المدن الاسلامية التقليدية بامتلاكها لهوية مشتركة تتبع خصائصها الاساسية من تطابق قيم الشريعة الاسلامية في التكوين المادي المتمثل بالبيئة الحضرية وتاثير مبادئ القران والسنة النبوية على بنية المكان وقيم مفاهيم الناس شاغلي المكان والتاثير على سلوكهم ضمن هذا المحيط السلوكي.وفي المراحل المتقدمة من انتشار الدين الاسلامي نجد ظهور بعض الخصائص الاقليمية والمحلية في هوية المدن الاسلامية بسبب طبيعة الدين الاسلامي الذي يشجع القيم الاصيلة والايجابية في المجتمع فيما لو لم تتعارض مع احكام الاسلام(وما بعثت الا لاتمم مكارم الاخلاق) وهذا الاختلاف ناتج عن اختلافات موضوعية في البيئات المختلفة للمدن الاسلامية وطرق البناء المتبعة فيها و المواد المستخدمة في البناء، لذلك نطلق على المدن التي ظهرت في الاندلس بالمدن الاسلامية وكذلك المدن التي ظهرت في العراق او بلاد الهند والسند فهي جميعا مدن اسلامية ذات هوية اسلامية واضحة وبالوقت نفسه تمتلك من الخصائص الفردية ما تميزها عن بقية المدن الاسلامية.لذلك نجد ان الهوية المحلية لهذه المدن تظهر في تفاصيل الصورة الذهنية المكانية وليس في تكوينها العام.

7-1-2- البنية

تمثل البنية الخواص الشكلية لنظام معين من العلاقات،فمعنى اي شي او عنصر لا يظهر الا من خلال علاقتة مع الاشياء الاخرى التي تمثل سياقة المباشر،ويعرفها lynch بانها العلاقات الفضائية والنمطية بين العنصر والمتلقي او بين العنصر والعناصر الاخرى[1]، كما انها تمثل مجموعة العلاقات التي تظهر في نقاط معينة من الزمان.

ويمكن تصنيف الاحساس وادراك البنية الشكلية للمكان الى مستويين هما:

1 ((lynch,1960,p.18))

المستوى الاول: مستوى المكان (ذي المقياس الصغير نسبيا) حيث يتجسد هنا في طبيعة احساس المتلقي بكيفية انسجام عناصر المكان ومكوناته اذ تلعب التفاصيل المكونه مثل اللون والملمس .....الخ دورا فعالا في عملية الاحساس وبالتالي الادراك.

المستوى الثاني: المدينة ككل (ذات المقياس الاوسع) ويتمثل في الاحساس بالتوجية الفضائي والزماني في المدينة او قطاع معين منها،اي معرفة اين ومتى يوجد الشخص، وهو مايستدعي معرفته بكيفية ارتباط موقعة المكاني والزماني مع الاماكن والازمنة الاخر.

وقد ادت العوامل الثقافية والطبيعية المؤثرة على تكوين البنية الشكلية للمدينة الاسلامية التقليدية الى ايجاد لغة تصميمية تعتمد التلقائية واستعمال عدد محدود من المفردات المعمارية والتخطيطية، وعلى الرغم من هذا فقد كانت تحمل قدرا كبيرا من المرونة وتنوعا كبيرا من خلال قوى التركيب وامكانيات البناء اللغوي المتعددة.

وقد لعب المقياس الانساني في تخطيط وتصميم هذه المدن دورا مهما في تحديد طبيعة الاحساس وكيفية انسجام وتناسق العناصر المكونه للفضاءات الحضرية.

7-2 المكونات المفاهيمية

وهي مكونات الاحساس التي تعمل على تعريف العلاقات المجرده وارتباطات الاشكال المكانية مع المفاهيم والقيم اللامكانية وتشمل:

7-2-1 التطابق:

ويشير الى التطابق الشكلي البحت بين البيئة الفضائية والبنية المفاهيمية للبيئة الحضرية[1] اي ان البنية المرئية الشكلية التي لا يمكن ان تحيا بشكل مستقل يجب ان تكون متطابقة مع الاستعمال الفعلي للموقع. وان هذا التطابق هي محاولة من المجموعة التي تشغل المكان بان تطابق شخصياتهم وقيمهم ومعاييرهم مع هذا المكان لذلك فان التصاميم يجب ان تاخذ بعين الاعتبار الخصائص المميزة لكل مجموعة.

1 ((lynch,1881,p.138))

ونجد هذا التطابق جليا في المدينة الاسلامية في مراحل ازدهارها فهناك تطابق بين القيم والمعايير التي يحملها الناس في تلك المدن مع التكوينات المادية للمدن لذلك تعد تلك المدن في تلك المرحلة ناجحة من الناحية الوظيفية والمفاهيمية[1].

7-2-2 الوضوحية:

وهي الدرجة التي يمكن بها لسكان مكان معين تبادل الاتصال بدقة من خلال عناصرة المادية والرمزية، فالبيئة الحضرية هي وسط للاتصال باستعراضها للرموز الضمنية والصريحة على حد سواء، ويتم ذلك من خلال وجود انظمة علامات اشارات بيئية معينة مفهومه لساكني هذا المكان ومبهمة للغرباء.

والمدينة الاسلامية تمتلك لغة بيئة مشتركة الفهم تعتمد على المفردات المعمارية والحضرية التي تجمع وتكامل بين الشكل ومحتوى المكونات المادية للمكان ووظائفها، وينعكس ذلك على قدرة سكان المدينة على تبادل الاتصال من خلال تلك المفردات الواضحة والمفهومة ضمن النظام سائد. وبالتالي يتمكن افراد المجتمع من فهم الصورة المكانية لمدينتهم التي تعتمد على عناصر مادية ورمزية متجذرة في اللاشعور الجمعي لسكان المدينة وتقترن بارتباطات ودلالات معنوية خاصة[2].

7-2-3 الشفافية:

ويقصد بها الدرجة التي يمكن بها الشخص ان يدرك وعلى نحو مباشر طبيعة انتقال المعلومات، والشفافية تتكامل مع دور التطابق في تحقيق قاعدة ادراكية ملائمة لاستيعاب معاني المكان. وان التدرج الهرمي للفضاءات والفعاليات التي نجدها في بعض المدن والمدن الاسلامية واحدة منها تساعد على تنظيم مستويات التفاعل الاجتماعي المكاني وبالتالي الشفافية

---

[1] – كمونة، د.حيدر عبد الرزاق: "الاصالة والمعاصرة في العمارة العراقية"؛ مجلة آفاق عربية، العدد العاشر، بغداد، تشرين اول 1987.

[2] كمونة، د.حيدر عبد الرزاق: "التراث المعماري وخصوصية المدينة العربية المعاصرة"؛ ندوة الخصوصية الوطنية في العمارة العربية المعاصرة، وزارة الاسكان والتعمير، بغداد ، 14–16 تشرين اول 1989.

في فهم علاقات النظام (المكان)، اذ يتفاعل الافراد مع بعضهم البعض مع المكان من خلال الفضاءات العامة المشتركة (الاسواق، افنية الجوامع، المدارس، الازقة الرئيسة....الخ) التي تحتضن فعالياتهم المختلفة وتسمح لهم بالتعرف على طبيعة الفعاليات ومجراها على نحو تلقائي.ومن جهه اخرى يعمل التنظيم المكاني للمدينة الاسلامية على تلبية مبادئ الخصوصية والحرمات الشخصية النابعة من العقيدة الاسلامية ونجد ذلك واضحا من خلال شكل الازقة وتعرجاتها وشكل الفضاءات ومن خلال التوزيع المتدرج من العام الى الخاص[1].

7-3-المكونات الرمزية

وهي المستوى الاكثر عمقا من الارتباط بين الشكل الحضري والقيم والمفاهيم الحضارية والانسانية ودلالاتها الاجتماعية والثقافية وتشمل:

7-3-1 الدلالة الرمزية:

ان الدلالة او المعنى هي احدى المكونات الاساس للصورة الحضرية فكل عنصر من عناصر الهيئة الحضرية لابد وان يمتلك معنى محدد يفسرة المتلقي على نحو معين سواء اكان ذلك المعنى عاطفيا او رمزيا او كان وظيفيا.ويمثل ادراك البيئة الحضرية وظيفة نفسية مهمة ترتبط على نحو كبير مع تعريف الهويةالمكانية وتولد بدورها قدرا معين من الاحساس المكاني[2].

7-3-2 التجلي:

ان ايا من الخواص الشكلية والمفاهيمية التي سبق توضيحها على الرغم من أهميتها ودورها الفعال في صياغة المكان فلا احد يرغب في العيش في بيئة فيها وضوح تام وتطابق تام بين الشكل الحضري والنية الاجتماعية وبنية الفعاليات الحضرية،فهناك حد معين للادراك الحسي، فالمكان يجب ان يكون ذو طبيعة قابله للاكتشاف وعنصر المفاجئة،وهذا ما يرتبط

[1] كمونة، د.حيدر عبد الرزاق،1989، المصدر السابق ص 20-33

2((lynch,1981,p.142))

بمفهوم التجلي في الحس بالشكل الذي يتيح للمتلقي البحث عن خيارات واسعة التي يرغبها، ويتجاهل تلك الخيارات التي لا تعنية عندما يشاء ذلك[1] .

ان المستويات المتباينة من التنظيم الاجتماعي–المكاني للمدينة توفر بدورها مستويات متباينة من الاتصال وبالتالي مستويات متباينة من الفهم والادراك،وهذا ما نجده في المدينة الاسلامية اذ ان المتلقي فيها لا يتعرض بالضرورة الى تجربة مكانية شاملة تمر بكافة مستويات ومواقع التنظيم المكاني للمدينة،اذ تبقى الكثير من المكونات بعيدة عن متناول ادراك المتلقي الذي لا تعنية تلك الاشياء، كما ان طبيعة البنية الشكلية للمدينة والتي تجمع بين البساطة في تكوينها العام والتعقيد في تفاصيلها الدقيقة ومفاصلها المختلفة تتيح للفرد ان يكون صورتة الخاصة عن المكان من خلال تنظيمة للعناصر والتجارب المكانية.

8–دور التخطيط في إعادة التوازن لتأثرات العولمة

تدخل العولمة مباشرة على البنية الفيزيائية في حالة الدول النامية لتحدث تغييرا في الأنماط الحضرية وبنية المجتمع نتيجة الانبهار بالأفكار الجديدة التي تتبناها العولمة وما تمتلكه من وسائل دعائية متمثلة بالقنوات الفضائية والانترنيت ووسائل الإعلام متعدد الأوساط Multi Media لذلك فالتغيير الذي تحدثه العولمة يكون بطريقين حسب تقبل المجتمع له ،اما ان يتقبلها المجتمع ويتفاعل معها بسبب الهالة الدعائية التي تحيط بالعولمة او ان يرفضها ويتقوقع المجتمع على نفسه.

وفي هذه المرحلة ياتي دور المخطط الحضري لاعادة التوازن الاطراف المعادلة الانسان (المحتوى) والمدينة (الحاوي) هذا الدور يمكن ان يتجسد في:

اولا: إعادة بناء المجتمع فكريا وثقافيا .

ثانيا:ا إعادة روح المدينة العربية من خلال تاهيل البنية الفيزيائية.

والشكل التالي يمثل تفاعل المجتمع مع مشهد المدينة في ظل العولمة.

---

1 ((lynch,1960,p.25))

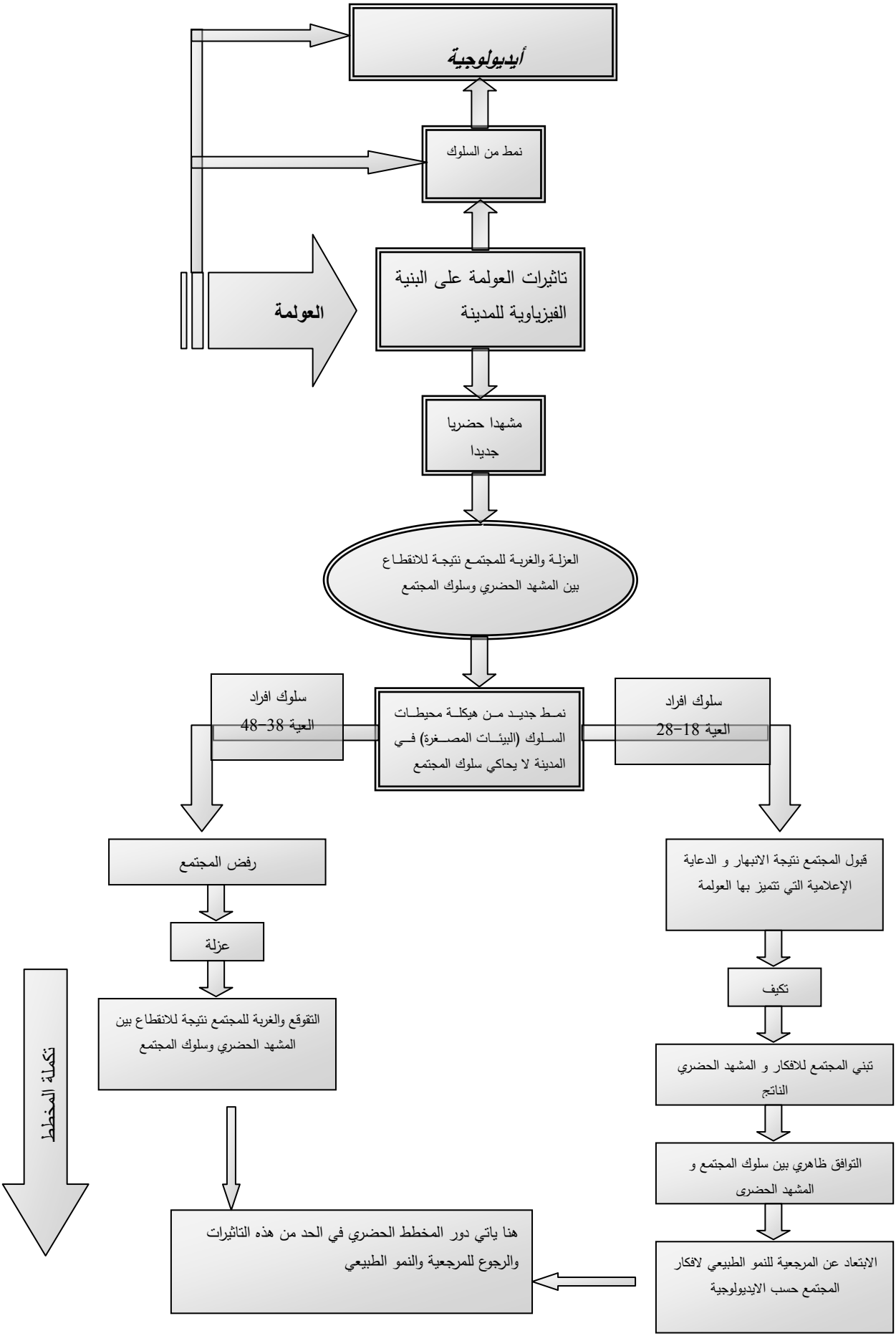
أيديولوجية
نمط من السلوك
العولمة
تاثيرات العولمة على البنية الفيزياوية للمدينة
مشهدا حضريا جديدا
العزلة والغربة للمجتمع نتيجة للانقطاع بين المشهد الحضري وسلوك المجتمع
سلوك افراد العية 38–48
نمط جديد من هيكلة محيطات السلوك (البيئات المصغرة) في المدينة لا يحاكي سلوك المجتمع
سلوك افراد العية 18–28
رفض المجتمع
عزلة
التقوقع والغربة للمجتمع نتيجة للانقطاع بين المشهد الحضري وسلوك المجتمع
قبول المجتمع نتيجة الانبهار و الدعاية الإعلامية التي تتميز بها العولمة
تكيف
تبني المجتمع للافكار و المشهد الحضري الناتج
التوافق ظاهري بين سلوك المجتمع و المشهد الحضرى
الابتعاد عن المرجعية للنمو الطبيعي لافكار المجتمع حسب الايديولوجية
هنا ياتي دور المخطط الحضري في الحد من هذه التاثيرات والرجوع للمرجعية والنمو الطبيعي
تكملة المخطط

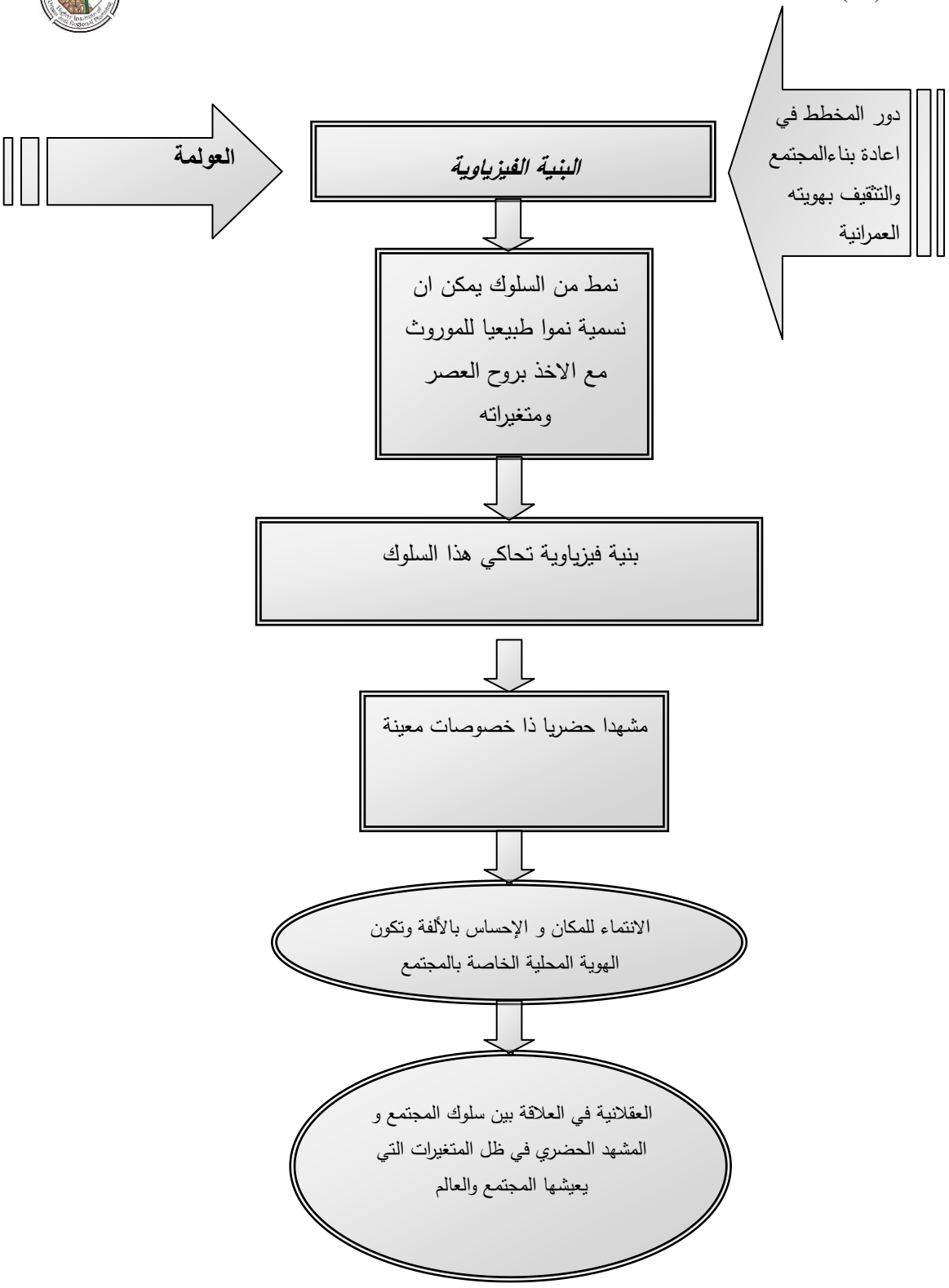

تأثير العولمة على المجتمعات النامية ودور التخطيط في إعادة التوازن

إعداد الباحث

الاستنتاجات

- تمثل البيئة الحضرية مجموعة من الانظمة (الاجتماعية ،ثقافية ،الاقتصادية ،العمرانية ،السياسية) مرتبطة فيما بينها وفق نسق معين وهذا النسق يعتمد على العوامل البيئية والثقافية والدينية ،وهذا ما يعطي لهذه البيئة الشخصية المميزة لها.
- تعد العولمة قديمة بمفهومها جديدة بتسميتها فهي كمفهوم ظهرت منذ بدايات الثورة الصناعية والوفرة الحاصلة بالانتاج الذي احتاج الى اسواق جديدة للتصريف.
- العولمة في الدول الغربية لم تاخذ الابعاد الخطيرة التي اخذتها في دول العالم الثالث، ذلك انها تعد تغيرا و تطورا للايدولجيات المتبناة في هذا المجتمع ،لذا نجد تطبيقاتها في البيئات الحضرية على مستوى التكوينات المادية متوافقة مع المتلقي وهناك حالة من التوازن في العلاقة بين المتلقي و البيئة ،اما في دول العالم الثالث اخذت ابعادها كونها تغييرا لم يصل مرحله التطور للايدولوجيات المتبناة في هذه المجتمعات لذالك نجد تطبيقاتها المادية في البيئات الحضرية غير متوافقة مع المتلقي.
- أن الوظيفة التلقائية للهوية كما يراها علم الاجتماع هي "حماية الذات الجمعية من عوامل الذوبان أو التعرية" هذا التصور الوظيفي لمفهوم الهوية يجعلنا نميز بين تأويلين لمعني الهوية، الأول هو التأويل "الماهوى" الذي يرى أن الهوية "شيء اكتمل وانتهى وتحقق في الماضي في فترة معينة أو نموذج اجتماعي معين وأن الحاضر هو محاولة إدراك هذا المثال وتحقيقه".
- تمثل الهوية المدى الذي يمكن به تشخيص المكان او التعرف علية او تذكره،لكونه مميزا عن غيره من الاماكن،والشعور بالهوية يمثل ابسط اشكال الاحساس بالمكان،وقد ياتي الاحساس بالمكان من تالف الحميم بين الفرد والمكان،كما قد يكون نتيجة للتاثير القوي للاشكال الخاصة

والمميزة،وعندما يعمل الشكل والتالف معا فان النتيجة العاطفية ستكون قوية التاثير الى حد كبير.

- إن إتجاهات العولمة تسير نحو التأثير على الهوية والسيادة معاً. وأول مايثير الإنتباه عند التأمل في موقف الغرب من هويات الشعوب. هو جمعه بين موقفين متناقضين ،فهو من جهة شديد الإعتزاز بهويته حريص عليها ، وهو من جهة ثانية رافض للإعتراف بالهويات الوطنية لشعوب العالم، لإحساسه بأن العولمة من شأنها أن تؤدي إلى مزيد من الوعي بالخصوصية الثقافية والحضارية.
- وياتي تأثير العولمة على الهوية للمدينة العربية من خلال اقحام الاشكال و التكوينات المادية الجاهزة في النسيج الحضري للمدينة بغض النظر عن درجة ملاءمتها من الناحية الثقافية او البيئية.

<u>التوصيات</u>

- لكي ندخل لعصر العولمة فمن المهم اولا ان نعرف انفسنا بمعنى البحث والفهم الحقيقي لهويتنا الثقافية والفهم الصحيح للفكر الاسلامي الذي يتلائم مع كل العصور.

- بناء المجتمع من الاولويات قبل البناء المادي للمدينة فبناء المجتمع بناء صحيحا على وفق الفكر الذي يتبناه ينتج عنه بناء صحيح لمدينته وبالتالي يتحقق التوافق الذي يبحث عنه المخطط بين الحاوي (المدينة) والمحتوى (المجتمع).

- الانفتاح على الافكار الجديدة والتعامل معها لا ينقص من الهوية المحلية بل العكس، ينتج عنه الصقل وابراز للهويات المحلية وتمسك واعي ناتج عن مقارنة متواصله بين المحلي والوافد من الافكار.

- لا يمكن لمدننا العربية الانصهار التام في العولمة ،وكما لا يمكنها التقوقع مخافة الدخول فيها ، فالتفاعل مع المعطيات الجديدة ومواجهتها من خلال التعمق بالارث المعماري والتخطيطي العربي هو الطريق الممكن لمواجة العولمة وتحدياتها.

- الاهتمام بالقوانين والتشريعات الحالية والتي يحتاج اعادة النظر فيها لقدمها اولا ولمحدوديتها من حيث التاثير.وعند صياغة هذه القوانين والتشريعات يجب الاخذ بالاعتبار طبيعة المدينة والمجتمع كونه اسلامي –عربي –عراقي ،والتوافق مع المتطلبات الحياتية والتطورات الهائلة في مجال التخطيط والعمارة .

- الاهتمام بالمعالم الموجودة ضمن المدينة لانها المحرك الاساس لعملية الادراك الذهني للمتلقي، وهذا الاهتمام يكون من خلال وضع اساس وقوانين للتصاميم المعتمدة في المدينة بما يتلائم مع واقع المدن العربية وهذا لا يعني الابتعاد عن التطورات الحاصلة في هذا المجال بل الاستفادة منها بالخروج بمؤشرات تصميمية وتخطيطية تلائم مدننا.

- ضرورة الاهتمام بالمناهج الدراسية والتأكيد من خلالها على عمارتنا المحلية والإسلامية بالقدر الكافي الذي يستطيع من خلاله المختصون أن يتناولو هذه العمارة بتعمق أكثر.فضلاً عن بقية المفاهيم العمرانية العامة الأخرى لرفع مستوى الواقع المعرفي للمهندس والمخططين.

المصادر:

1. الحمد، تركي "هوية بلا هوية: نحن والعولمة"، قدمت لمؤتمر العولمة، القاهرة، أبريل 1998 (نشرت في جريدة اليوم على أربع حلقات في الأعداد 90860، 90993، 9100، 9107).

2. رزوقي، غادة موسى" فكر الإبداع في العمارة"، رسالة دكتوراه فلسفة مقدمة إلى قسم الهندسة المعمارية، جامعة بغداد، العراق، 1996.

3. سبيل، محمد "الهوية"، جريدة الرياض عدد 11049 (4-6-1419).

4. كمونة، د.حيدر عبد الرزاق: "الاصالة والمعاصرة في العمارة العراقية"؛ مجلة آفاق عربية، العدد العاشر، بغداد، تشرين اول 1987.
5. كمونة، د.حيدر عبد الرزاق: "التراث المعماري وخصوصية المدينة العربية المعاصرة"؛ ندوة الخصوصية الوطنية في العمارة العربية المعاصرة، وزارة الاسكان والتعمير، بغداد ، 14-16 تشرين اول 1989.
6. الهمالي ،د. عبدالله عامر،"أسلوب البحث الاجتماعي وتقنياته"، ط1، منشورات جامعة قاريونس، 1988.

7. الهمالي ،عبدالله عامر، "التحديث الاجتماعي: معالمه ونماذج من تطبيقاته"، الدار الجماهيرية للنشر، 1986.

8. **Klapp, O. "Collective Search for Identity", New york, Rinehart and Winston, Inc., 1969.**
9. **Lynch , Kevin " The Image of the city " ; The M.I.T. press , London ,1960.**
10. **Lynch, K., ''A Theory of Good City Form ", Cambridge, MA : MIT Press,1981.**
11. **Rapoport, A. "Culture and Built Form – A Reconsideration", In D. G. Saile (Ed) " architecture in Cultural Change", Essays in Build Form and Culture, Lawrence, University of Kansas, 1986.**